

ظاهرة السحر في المجتمع الأوراسي: سحر المقابر نموذجاً

دراسة ميدانية بمنطقة رأس العيون

The phenomenon of sorcery in the Aurés society: Cemetery sorcery as model

(A Field study in the region of Ras El Ayoun)

ريمة منصورية* , جامعة باتنة 1، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، rima.mansouria@univ-batna.dz

batna.dz

مبروك بوطقوقة , جامعة باتنة 1، boutagouga.mabrouk@univ-batna.dz

إبراهيم بن عرفة , جامعة باتنة 1، brahim.benarfa@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/11/29

تاريخ الإرسال: 2024/08/18

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في موضوع من المواضيع الطابو في المجتمع الأوراسي ألا وهو ظاهرة سحر المقابر، وتوضيح ما إذا كان هذا السحر مجرد تخيلات وأوهام كما يعتقد البعض نظراً لمضرته الآتية، أم أنه علم له أصوله ومبادئه لما ينتج عنه من أضرار مستمرة، إضافة إلى كشف اللثام عن بعض الممارسات والطقوس السحرية التي يستخدمها المشعوذون والسحرة والتي ترتبط بالموتى والمدافن في منطقة رأس العيون بولاية باتنة، وذلك بالاعتماد على المنهج الأنثروبولوجي لوصف الظاهرة وصفاً دقيقاً ومنظماً والتعمق في مجتمع البحث من خلال الاستعانة بالتقنيات البحثية المختلفة كالملاحظة، الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات الميدانية، وعليه أسفرت نتائج الدراسة على أنه لا تخلو مقبرة من الأعمال السحرية التي تتمظهر من خلال الطلاسم السحرية والتمايم وغيرها، الغاية منها التفریق، الجنون، التعطيل، وأذية الآخرين، والدافع الرئيسي لذلك هو الجهل والغيرة والرغبة في الانتقام ونقص الوازع الديني، بالإضافة إلى الانتشار الرهيب للمشعوذين ووجود تطور ملحوظ في الطقوس السحرية الممارسة في مجتمع الدراسة، بسبب التكنولوجيا الحديثة وباعة الأوهام عبر قنوات ومواقع الانترنت المجانية التي ساعدت في تعلمه بشتى فنونه وأنواعه.

الكلمات المفتاحية: سحر المقابر، المجتمع الأوراسي، الطقوس، الشعوذة، الموتى.

* المؤلف المرسل  (<https://orcid.org/0009-0005-5948-0744>)

المؤلف الثاني  (<https://orcid.org/0000-0003-1902-5710>)

المؤلف الثالث  (<https://orcid.org/0000-0001-6439-6989>)

Abstract:

This study primarily investigates the phenomenon of sorcery and witchcraft conducted in cemeteries, focusing on the practices observed at "Ras El Ayoun" in the city of Batna. It aims to explore whether magic and sorcery are merely illusions and psychological constructs, as some argue due to their immediate effects, or whether they represent a structured discipline with specific principles, foundations, and methodologies, given their sustained and often harmful consequences. Additionally, the research seeks to document and analyze the magical practices and rituals performed by sorcerers, particularly those associated with the deceased and cemeteries.

Employing an anthropological approach, the study provides an in-depth description and analysis of this phenomenon through qualitative research methods, including participant observation and field interviews. The findings reveal that no cemetery is devoid of evidence of sorcery and magical practices, which are often manifested through talismans and unusual artifacts intended to inflict harm, such as inducing separation, mental instability, and interpersonal conflict.

The study identifies ignorance, envy, jealousy, and revenge as key motivators behind these practices, coupled with a lack of religious conviction. Furthermore, it highlights the significant role of modern technology and internet platforms in facilitating the proliferation and evolution of sorcery, providing widespread access to instructional materials and tools that enable the dissemination and enhancement of magical practices within the community.

Keywords: Cemetery magic, Eurasian society, sorcery rituals, witchcraft, deads.

مقدمة:

يعتبر السحر ظاهرة قديمة فقد اعتبر من الأعمال الشيطانية التي تحدث عنها القرآن الكريم في آيات عديدة، وحثنا على اجتنابه لأنه من الموبقات التي تؤدي للشرك والطرده من الملة الإسلامية، فالسحر كونه قائم على ممارسات وطقوس تديسية تؤثر على العامة وتمس الوعي الديني والاجتماعي، وفي الآونة الأخيرة انتشرت في المجتمع الأوراسي ظاهرة تسمى بسحر المقابر حتى أضحت مواقع التواصل الاجتماعي تنشر بكثرة مقاطع فيديوها وصور للكثير من ضحايا السحر المدفون في المقابر، ولم يتوقف الحد عند هذا الأمر فقط، بل انتشرت العديد من الكتب التي تعلم الناس هذا النوع من الممارسات، التي تبدأ بممارستها كهواية، ثم كمهنة، لتصل بممارستها إلى مشعوذين سحرة.

في المجتمع الجزائري كثر السحرة وباعة الأوهام والأسقام، وانتشر السحر بكثرة أين مس كل الطبقات الاجتماعية. حيث أصبح العديد من الناس يلجئون للسحرة والمشعوذين لتحقيق رغباتهم الشخصية منها والمهنية، والحصول على القبول، وكذلك السعي وراء بناء أنفسهم بتدمير الآخرين وأديتهم، دون الوعي بمدى خطورة وأضرار ما يلحقه السحر لكل الأطراف.

السحر المدفون في المقابر آفة فتكت بالعديد من الضحايا، فالسبيل واحد والغايات للأذية متعددة، وانتشرت هذه الظاهرة الفتاكة بكثرة داخل أوساط المجتمع المختلفة، تمتعته بكثرة النساء والقلّة القليلة من الرجال، ولا يقتصر على فئة أو طبقة اجتماعية معينة، له من الطقوس الغريبة ما لا يتقبله العقل البشري، تتجسد صور الشيطان في طلاسمة المترامية في القبور، فالمقابر جمعاء، القديمة منها والحديثة لم تسلم من استغلالها في الأعمال السحرية، حيث توجد الكثير من القبور التي دنست حرمتها وقداستها بطلاسمة وتائم تعود لأشخاص ربما وافتهم المنية، وربما لا يزالون يتصارعون مع هذا البلاء الذي عجز العلم عن تشخيصه، كما لا تخلو منطقة إلا وبها مشعوذون وسحرة يمارسون السحر الأسود المدفون دون شفقة ولا رحمة، مقابل مبالغ مالية ربما تكون طائلة في بعض الأحيان.

والملاحظ في المجتمعات الجزائرية عموما ومجتمع الدراسة – الأوراس – منطقة رأس العين، أن هذا النوع من السحر صار مهنة وموضة العصر، وهو الفعال – في نظر الجيلة – لتدمير حياة الآخرين، والوصول لما يريدون تحقيقه في الحياة الدنيا.

وعليه جاءت دراستنا الميدانية للبحث عن المجهول حول ظاهرة سحر المقابر (اللامقول والغير المرغوب في إفصاحه والتحدث عنه)، (المرغوب سرا والمرفوض علنا) (بن عرفة و عالية، 2019، صفحة 70) وسبب انتشاره في مجتمع ديني إسلامي، والدافع الذي جعل ممارسيه يزاولونه في زمن العلم وعصر التقدم، فالسؤال الرئيسي الذي دفعنا لهذا البحث هو:

كيف تقام الطقوس السحرية المدفونة في المقابر؟

وللإجابة على نص السؤال لا بد لنا من طرح جملة من تساؤلات فرعية لإشكالية بحثنا والمروء عليها لتوضيح ماهية السحر وممارساته، والمتمثلة في:

هل السحر بصفة مجرد تخيلات وأوهام كما يعتقد البعض نظرا لمضرته الآتية؟

أم أنه علم له أصوله ومبادئه لما ينتج عنه من أضرار مستمرة؟

ولماذا ارتبط السحر بالمرأة؟

وكيف أصبح السحر مهنة النساء في المجتمع الأوراسي بمنطقة الدراسة؟

ومن جهة أخرى كون هذه الظاهرة انتشرت كالنار في الشميم، وأصبح تعلم السحر يشق أنواعه سهل بفضل التكنولوجيا الحديثة، فعليه لا بد من الإشارة إلى كيفية مساهمتها في انتشار السحر وتعلمه. منهجية الدراسة:

المنهج المتبع: اعتمدنا في ورقتنا البحثية على المنهج الوصفي-كونه المنهج الأساسي في دراسة ظاهرة السحر ووصفها وصفا دقيقا معمقا، وهو الأنسب في الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية، ومن خلاله يمكننا من وصف الطقوس السحرية وأدائها المدفونة في مختلف المقابر.

تقنيات وأدوات الدراسة: استعنا في دراستنا الأنثروبولوجية الحقلية على جملة من الأدوات تتمثل في:

الملاحظة: بعد نزولنا للميدان، استعنا بتقنية الملاحظة، وذلك عبر تتبع الحركة حول بعض منازل المشعوذين والسحرة، بالإضافة لملاحظاتنا لأعمال النشاط التطوعي لإحدى الجمعيات المتمثل في تنظيف المقابر واستخراج الحرز والحجب السحرية¹، وتم ذلك عبر تشكيل فرق ومجموعات من ثلاث مشايخ وإمام المسجد، وعدد معتبر من سكان المنطقة، أين استخرجوا ما يقارب 52 حرزا مدفونا في المقابر القديمة المنسية، ومباشرة فك السحر بالقرآن، أين لاحظنا عن كتب ما تحتويه تلك التماثيل من مواد ننته وعظام وطلاسم غير مفهومة، وأشياء عديدة سنذكرها لاحقا، كما لاحظنا سلوك بعض المشتبهين فيهم لزياراتهم المتكررة للمقابر في أوقات الليل والفجر، ليتضح لنا فيما بعد أنهم مشعوذات وسحرة.

الملاحظة بالمشاركة: وتعتبر من أهم أدوات البحث الأنثروبولوجي، فموضوع السحر موضوع شائك خطير لا بد من تقمص العديد من الأدوار للانحلال في مجتمع الدراسة والولوج لعالم السحرة والمشعوذين، وعليه وجب علينا الاستعانة بهذه التقنية لتقديم وصف معمق للظاهرة، وتوجيه التساؤلات الكافية للإلمام بحثثيات الموضوع، أين شاركنا في طقوس تطهير المقابر من التماثيل السحرية، وزيارة بعض المشعوذين والتظاهر أننا نريد الرقية والعلاج، لتسليط الضوء على خباياهم وملاحظة ما يحتويه مستودعهم من أدوات السحر، وكيف يتم السحر المدفون، ولم يكن لزاما علينا أن نشارك في هذه الطقوس الشريكة، فقط رغبتنا الاستكشافية دفعتنا للاطلاع أكثر على ما يحتويه هذا العالم من جهة، ومن جهة أخرى جمع المعطيات والبيانات البحثية الكافية لأجل التنبيه لهفوات يقع فيها الإنسان ليصبح ضحية السحر بدافع حسن النية، حيث قمنا بالزيارات المتكررة لمنزل إحدى المشعوذات التي ذاع صيتها في منطقة الدراسة ولأجل كسب ثقتها، ارتأينا أن نقدم لها معلومات عن شخصية وهمية بغية الحصول على المحبة والقبول، فبعد أن حصنا أنفسنا بالقرآن، انطلقنا لخوض غمار هذه التجربة الخطيرة، قدمت لنا شروطا أن نأتي لها ببعض من شعر أو أظافر الشخص وإذا تعسر الأمر لا بأس بصورته أو بلباسه، اشترينا لباسا جديدا وادعينا انه له، كما أخبرناها أنه صعب لنا الحصول على شيء من جسمه، ونسينا أمر الصورة، عملت لنا حرزا وأطلعنا على مستودعها وأمرتنا أن نرافقها في طقوس دفن السحر الذي

1 الجزز والحجب السحرية : العُودة، تيممة أو تعويذة يُكتب عليها وتُحمل لتحيي حاملها من المرض والخطر كما يزعم

المُعَوِّذون، تحتوي عادة على أشكال ومربعات بداخلها حروف وأرقام. (طبعة، 2009، صفحة 34)

ستحضره بعد أسبوع، مقابل مبلغ مالي معتبر، لكن رفضنا أن يقام الدفن خوفاً من عقبات أخرى تصادفنا، واكتفينا بأخذ ذلك الحرز وقطعة اللباس، نظراً لخطورة ما تقوم به تلك المرأة الساحرة.

المقابلة: تم إجراء العديد من المقابلات مع أئمة المساجد (خمس أئمة) لفهم ماهية السحر دينياً وإتباع إرشاداتهم لانتقاء الآراء الصحيحة حول قضية السحر في الدين الإسلامي، مشايخ القرى من كبار السن (ثمان مشايخ)، أين زدونا بمعلومات كثيرة حول السحر بصفة عامة وسحر المقابر بصفة خاصة، ودلونا على طريقة الرقية الشرعية على سنة النبي محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وطريقة فك السحر والتحصين من هذه الظاهرة الخطيرة، كما أجرينا مقابلة ميدانية مباشرة مع محامية معتمدة لدى مجلس باتنة، أين أخبرتنا عن بعض القضايا التي قام فيها السحرة بتدنيس القرآن والمساس باسم الجلالة، لأجل القيام بأعمال تتعلق بالسحر الأسود المدفون في المقابر، والتي بدورها قدمت لنا حصيلة لبعض المتهمين من السحرة نساء ورجالا تم القبض عليهم متلبسين بممارسة السحر والشعوذة، ونظراً لسرية المعلومات التي قدمت لنا، ولخصوصية البحث الأنثروبولوجي والأمانة العلمية تم التحفظ على ذكر اسم لأي شخص كان لحساسية الموضوع، إلى جانب هذه المقابلات، أجرينا مقابلتين مع مبحثين من يعدان من حالات السحر المدفون، إحداهما وصفت لنا الضرر الذي لحقها وكيف تجاوزت المحنة، وأخرى لأحد ضحايا السحر المميت، وروت لنا معاناة ابنتها، وكيف تم سحرها بكفن ميت، بالإضافة لمقابلة المشعوذة "م" التي أطلعتنا على مستودعها السحري، وأخبرتنا عن العديد من طرق السحر وطوقسه التي تمارسها هي وزوجها.

مجال الدراسة:

المجال الجغرافي: انحصرت دراستنا على منطقة رأس العيون، التي تقع في الشمال الغربي للأوراس، وهي مقاطعة إدارية تابعة لولاية باتنة، تشمل ستة بلديات "بلدية رأس العيون، القيقبة، القصبات، الرحيات، أولاد سلام، تالخت"، ركزنا على بلدية رأس العيون، من أجل التعمق في الدراسة، وكون هذه المنطقة بها العديد من المشعوذين وأشهرهم الشيخ (م) الذي ذاع صيته، وهو من يعلم المشعوذين السحر وينشره بين الراغبين في تعلمه، كما يزوره العديد من الناس من مختلف الولايات.

المجال البشري: "السحرة، المشعوذين، الرقاة، المشايخ، الأئمة، المسحورين وبعض من عائلاتهم".

1. ماهية السحر:

1.1 تعريف السحر:

لغة: حسب ما جاء في لسان العرب فالسحر يعني الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى، (ابن منظور، صفحة 348)، يطلق السحر على كل ما هو خفي، كل ما لطف وخفي سببه (أبي عبيدة، 1995، صفحة 55).

في اللغة الأمازيغية يطلق عليه باسم Aherhur إيجرحورن iherhuren بالمتغير الشاوي، iheckulen/ihekucen بالمتغير القبائلي، ويشمل كل ما هو خفي من أفعال شيطانية وتدنيسية وأعمال للخديعة والسحر.

اصطلاحاً: جمهور العلماء قدمه على أنه أمر خارق للعادة لأعمال شريرة تؤذي النفس البشرية، كما أشار ابن قحامة المقدسي على أنه: عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل، وما يمرض، وما يأخذ الرجل من امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين (أبي عبيدة ماهر، 1995، صفحة 57).

هو اتفاق بين ساحر وشيطان، وذلك بقيام الساحر بالمحرمات والشرك، في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته فيما يطلب منه (وحيد، 1992، صفحة 17).

التعريف الإجرائي: السحر ممارسات شيطانية شركية، وأعمال خفية للخداع والتمويه والأذية، والفتك بالنفس الإنسانية، تجتمع فيه كل المندسات من عالم الظلام السفلي، عن طريق عقد اتفاق بين الجن المارد والشياطين مع الساحر، لممارسة تلك الأفعال التي تهلك المطلوب نفسياً وجسدياً.

2.1 أنواع السحر:

تعددت تقسيمات أنواع السحر من طرف الباحثين وعلماء الدين، فعند الباحثين الأنثروبولوجيين نجد نوعين الأول السحر التشاكلي أو سحر المحاكاة، والنوع الثاني هو السحر الاتصالي... وهناك من صنفهم إلى ثلاث أنواع رئيسية تتمثل في سحر إنتاجي، سحر وقائي و سحر تحطيمي (طبعة، 2009، صفحة 32)، أما عند علماء الدين، كالرازي فقد قدم ثمان أنواع للسحر، تتمثل في: سحر الكلدانيين والكشديانيين عبدة الكواكب، سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، سحر يقوم على الاستعانة بالأرواح الأثرية شياطين كفر وجن مؤمنون، سحر التخيلات والأخذ بالعيون، سحر الأعمال العجيبة، سحر يستعين بخواص الأدوية، والنوع السابع سحر التعليق للقلب، أما النوع الثامن السعي بالنميمة والتقريب من وجوه خفيفة لطيفة. وقد أدخل الرازي كثيراً من هذه الأنواع في فن السحر للطفافة مداركها بناء على مفهومه اللغوي (وحيد، 1992، الصفحات 53-54)، ومنه أنواع أخرى أجمع عليها علماء الدين تتمثل في: سحر التفريق، سحر المحبة، سحر التخيل، سحر الجنون، سحر الخمول، سحر الهواتف، سحر المرض، سحر النزيف، سحر التعطيل، ومنهم من يصنفها من جانب المضرة لنوعين، السحر الأبيض، والسحر الأسود.

3.1 نظرة عامة حول تاريخ السحر:

عند الرجوع إلى المصادر التاريخية التي تتبع تاريخ السحر نجد روايات شبيهة بالأساطير، ترتبط بالآلهة السفلية وأرباب عالم الشر والسحر، خاصة في الحضارات القديمة كاليونانية والرومانية والبابلية المصرية، وهذا ما يبعدها عن الحقيقة وعدم تقبل المنطق لمثل هذه الخرافات التي ترتبط بالفكر الإنساني الأولي الوثني، لكن عند الغوص في الديانات السماوية السابقة للإسلام، فنجد أساطير – قيل عنها إسرائيليات - تشير إلى البدايات الأولى للسحر، وفي هذا الصدد ذكر الكاتب المسعودي في كتابه " أخبار الزمان" حول أول من مارس السحر وهي عناق بنت آدم عليه السلام أب البشرية الأول...والتي لجأت للسحر ومارسته وتمكنت من الكهانة، كما أشار الكاتب أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال عنها: " هي أول من بغى في الأرض، وعمل الفجور، وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين، وصرفهم في وجوه السحر" (أبي الحسن علي، 1996، صفحة 116).

لكن عند التطلع لمواصفاتها وما قيل عنها كونها مشوهة الخلق كما ذكرت الروايات: لها رأسان، وفي كل يد عشرة أصابع، لكل إصبع ظفران كالمنجلين الحادين (أبي الحسن علي، 1996، صفحة 116)، يتضح لنا أنها مجرد أسطورة، وهذا الوصف يدل على أنها كائن أسطوري من ضرب الخيال، فحسب ما قدم عنها من مواصفات لا يتقبلها العقل، فهي كائن خيالي في حدود اللامعقول، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، فبالرغم من ورود ذكرها بالتوراة والأسفار القديمة وحتى المفسرين والعلماء المسلمين تطرقوا لذكرها كالطبري، لا يمكن لنا تكذيب ونفي صحة الرواية، أو تفنيدها وعدم أخذها بعين الاعتبار، فربما كانت مخلوق أثري، أو بالغ الواصفون في وصفها لما تحمله من شر وظلم، فمن هذا المنطلق اتخذ الإنسان صورة مرعبة وخيالية عن عالم السحر لما يحمله من مواصفات لكائنات غريبة.

وفي رواية أخرى لتاريخ السحر، قصة الملك " هاروت وماروت" اللذان أثارا حيرة المفسرين وعلماء الدين والباحثين في تاريخ الأديان، أرسلهم الله على بابل وارتبط اسمهما بالسحر، لم يحدد المفسرون زمن تواجدهم لكن أغلبهم أشاروا أن فترة نزولهما بعد وفاة النبي سليمان عليه السلام، وفي تفسيرات أخرى ذكر أنهما نزل بعد رفع نبي الله إدرس إلى السماء. فقصتهما تناولتها الديانات السماوية وكما جاء ذكرهما في الرواية اليهودية التي ذكرت في التلموذ " مدراش يلكوت باسم " شمحزاي وعزازيل" وفي روايات أخرى ذكرهما باسم " عزائيل وشميحزا" ومفادها أن الملائكة لما رأت أفعال البشر الشريرة غضبوا وطلبوا من الرب أن يسلبهم على الأرض، ورد الرب عليهم إذا نزلتم عليها فشبهوا الأدميين ستستولي عليكم، فطلبوا الملك أن ينزلوا على الأرض ويمجدوا الرب، وبعد نزولهما قدسا اسم الله وسبحاه إلى أن ارتكبا المعاصي بسبب فتاة فاتنة ذكرت باسم أستير في التلموذ، فقد ذكر في سفر أخنوخ أنه: " علم عزائيل البشر صنع السيوف والحراب والتروس والدروع كما تعلمها من الملائكة، ودلهم على المعادن وكيف يشتغلونها..... وعلمهم شميحزا السحر وعلم النبات، وحرمني علمهم التقسيمات والرقوة

والشعوذة والعرافة، وبرقثيل علم الكواكب، وكوكبثيل علامات النجوم، وزيقثيل علامات النيازك.. (أخنوخ، صفحة 42).

أما عن قول الإسلام في موضوع هاروت وماروت جاء بصيغة مغايرة للرواية اليهودية، حيث وردت روايات عديدة حولهما وذكر الطبري ثمان روايات، كما ذكر ابن كثير عشرة، ومن بين هذه الروايات: "حدثني المثنى بن ابراهيم قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: لما وقع الناس بعد آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب هذا العالم، إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك، وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم، ف قيل لهم: إنهم في غيب، فلم يعذروهم، ف قيل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي، فاختاروا هاروت وماروت، فهبطا إلى الأرض، وجعل بهما شهوات بني آدم، وأمر أن يعبد الله ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر، فلبثا على ذلك في الأرض زمنا يحكمان بين الناس بالحق - وذلك في زمن إدريس- وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكواكب... وأنها أتت عليهما، وخضعا لهما بالقول وأراداها على نفسها، وأنها أبت إلا أن يكونا على أمرها، ودينها وأنها سألاها عن دينها التي هي عليه فأخرجت لهما صنما

وقالت: هذا أعبد،

فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا فلما رأت أنهما أبيا أن يعبد الصنم،

قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبد الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا خمرا،

فقالا: كل ما ينبغي وأهون الثلاثة شرب الخمر، فسقتهما الخمر حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا

بها، فمر بهما إنسان، وهما في ذلك فخشيا أن يشفي عليهما فقتلاه، فما إن ذهب عنهما السكر عرفا ما

وقع فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، فحيل بينهما وبين ذلك، وكشف

الغطاء بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنب، فعجبوا كل العجب، وعلموا

أن من كان في غيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض وأنها لما وقعا فيه من

الخطيئة، قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة؟ فقالا: أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع، وأما عذاب

الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلوا في بابل فهما يعذبان" (ابن جرير، 1992، صفحة

503) (أبو بكر، 1972، صفحة 29) (الرازي، 1985، الصفحات 179-180) (أحمد، 1989، الصفحات

16-17) (حموي، 1994، صفحة 10).

وبالاستناد على قول الله سبحانه وتعالى: " أَتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ

سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ

بِضَارَيْنِ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} البقرة: 102. فقد انقسم المفسرون إلى قسمين، القسم الأول استنبط تفسيره من التلموذ اليهودي ووقوع الملكين في المعصية أثناء قضاء مهمة بأمر من الله.

والقسم الثاني الرافضين للرواية اليهودية رفضا قاطعا لما تتعارض ومفهوم عصمة الملائكة في الإسلام، حيث يربطون بين نزول هاروت وماروت للأرض وبين النبي سليمان عليه السلام، أين أورد ابن كثير والطبري أنه لما سلب النبي سليمان ملكه بسبب مرضه بدأت الشياطين بالصعود للسماء، واستراقهم السمع لكلام الملائكة ويعودون للأرض لإخبار الكهنة بما سمعوه، وكانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان ويعنونونها بهذا ما كتب آصف بن برخيا عن سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم"، وبحسب أغلب المؤرخين آصف بن برخيا هو الذي أحضر عرش ملكة سبأ بطرفة عين، الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة النمل الآية 40 بالذي "عنده علم من الكتاب"

فلما استعاد سليمان ملكه جمع كل الكتب ووضعها في صندوق ودفنها تحت كرسيه ولم تتجراً الشياطين على الاقتراب إليها لأنها تحترق، وبعد وفاة النبي سليمان ومضي جيل بعده تمثل الشيطان في هيئة إنسان وأخذ يوسوس لبني إسرائيل بأن سليمان كان ساحرا ولم يكن نبيا، والدليل ذلك الصندوق الذي تحت كرسيه، أين أغوى إبليس بجماعة من بني إسرائيل فحفروا وأخرجوا الصندوق، وأشاع إبليس بين الناس أن سليمان كان ساحرا وكانت النتيجة كثرة السحرة الذين تتلمذوا على يد الشياطين وادعوا النبوة وأن سحرهم هو معجزة النبوة، فأنزل الله الملكين هاروت وماروت ليعلموا الناس السحر ويفرقوا بينه وبين المعجزة. وكانوا يحذرون الناس أنه فتنة قبل تعلمه.

ففي الروایتين يتضح لنا المنطلق الرئيسي لفكرة ارتباط السحر بالنساء، وترسب هذا المنظور في المجتمعات الآتية، فعناق بنت آدم أول من بغى في الأرض ومارس السحر، والمرأة التي أغوت الملكين ذكرت باسم الزهرة... والتي أشارت الأساطير على أنها تحولت لكوكب كعقاب لها بعد أن علمت باسم الله الأعظم من الملكين هاروت وماروت.

والمرأة من أهل دومة الجندل التي سعت في تعلم السحر برفقة عجوز دلتها إلى بابل مسافرتين في آخر الليل على كليبين أسودين، والعديد من الروايات والقصص الحقيقية التي أجزمت أن السحر مسألة النساء عبر عصور خلت، ولا زالت في مجتمعاتنا الحالية ميول النساء للسحر للوصول لمبتغاهن. فهن الأكثر لجوءا للسحر ولشعوذة في زمن أضحى فيه الإيمان بالشعوذة ظاهرة قوية يلجأ إليها الفرد لعلاج الأمراض ومواجهة المشاكل اليومية بأقل تكلفة (طبعة، 2009، صفحة 9).

2. السحريين الوهم والعلم:

تجاذبت آراء العلماء والباحثين والفقهاء حول موضوع السحر، فمنهم من يرى السحر مجرد وهم وعامل نفسي وخرافات الأوائل من أساطيرهم المزعومة، ومنهم من يراه علما قائما بذاته، لما له من حقائق روحانية، وعليه سنفصل في هذا بالتطرق إلى:

1.2 السحروهم:

ذهب ثلة من العلماء إلى القول بأن السحر تخيل لا حقيقة له أمثال: أبي جعفر الأستريادي من الشافعية، أبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم من الظاهرية. (أبي عبيدة ماهر، 1995، صفحة 61) لما له من خيالات باطلة ولا حقائق لها، اعتمد مؤيدي هذا الطرح على كون السحر أصله التمويه بالخدع والحيل والافتراء، وأنه يمارس الساحر أفعالا عبر طقوس ما، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، فعلميا هي مجرد تخيلات وأوهام ناتجة عن النفس ووسوسة الشياطين، وهذا ما يقع فيما يعرف قديما بالحاوي، وهو نوع من سحر التخيل " السيرك وألعاب الخفة"، كما دعم مؤيدو هذا الطرح فكرتهم مستندين على القراءة في الآيات التالية:

- الآية 66 من سورة طه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾
- الآية 116 من سورة الأعراف في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزَكُّوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ۝ ﴾
- الآية 36 من سورة القصص، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ۝ ﴾

فبالعودة إلى تفاسير القرآن الكريم نجد أن البغوي فسر قوله تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس، فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات، وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنها تسعى.

وفي موضع آخر: "سحروا أعين الناس: أي صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، وفي الآية الأخرى من سورة القصص لما جاءهم موسى بالبينات والمعجزات الالهية كذبوه وانعكس ما كان في أنفسهم وما كانوا يعملون من افتراء، فضحوا أمرهم بقولهم: "سحر مفترى: أي الافتراء الكذب والبطلان، وما كان النبي ساحرا كذابا يفترى على خلق الله.

وهنا يقع الإعجاز الرباني في الخطاب القرآني بعد ان طغى فرعون وأله وفندوا آيات النبي موسى عليه السلام واتهموه كونه ساحرا، بين الله سبحانه وتعالى افتراء آل فرعون وسحرتهم وإتيانهم بسحرهم العظيم الذي اربب الناس في ذلك المجمع العظيم، ليبين الله الحق ويزهق الباطل، وأن جهة أخرى في قوله تعالى: " وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ:" أي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا، في التفسير الوسيط ذكر أنهم لونوا حبالهم وخشبتهم وجعلوا فيها ما يوهم بالحركة، كما أشار بعض المفسرين أنها كانت عصيا مجوفة

ملئت زنبقا. وهنا تقع الحيل السحرية واستخدام الخدع لتمويه الآخرين، مثل العروض السحرية التي تقام في السيرك وأساسها التمويه والتخييل والخفة.

هذا ما جاء به مؤيدو هذا الطرح، لكن لا يمكن تنفيذ عظمة السحر وحقيقته، والجزم على انه افتراء وتخيلات، فحادثة سحرة فرعون مع موسى كانت من بين القصص الدينية الأكثر إعجازا، فما جاء به السحرة باطلا وما أتى به موسى كان الحق من ربه، وفيها نصر الحق عن الباطل، ليبين الله آياته للقوم لعلمهم يتقون ويؤمنون بما جاء به كلمه، فلا يمكن أخذ حادثة في عصر ما وتعميمها على أن السحر وهم وتخيل استنادا على واقعة مرت في زمن غابر.

2.2 السحر علما:

أشارت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية وكتابات علماء القرن التاسع عشر التي اهتمت بدراسة الإنسان البدائي وحياته الخاصة وفكره، إلى موضوع السحر، ومن أهمها دراسة تايلور حول " الثقافة البدائية" ودراسة جيمس فريزر " الغصن الذهبي"، ففي المقاربات البحثية حول العلاقة التي تربط السحر بالعلم والدين، نشأ تضارب في الآراء فهناك من يرى العلاقة الطبيعية تكون بين السحر والدين، على عكس فريزر الذي يرى أنه ثمة علاقة قوية بين السحر والعلم، والسحر هو الطريق الطبيعي الذي سلكته البشرية مرورا بالدين ووصولاً إلى العلم، فأطلق على السحر العلم الزائف، وكان تايلور هو السباق في إطلاق مصطلح العلم الكاذب على السحر، لأن كل من السحر والعلم يقومان على أساس معين من تداعي الأفكار أو المعاني، وهذا التداعي يقوم بطريقة خاطئة في السحر على عكس العلم.

أشار جيمس فريزر على أن السحر نظام زائف لقوانين الطبيعة، كما أضاف أنه مرشد خداع للسلوك، وأنه علم زائف، وفن جهيضم (جيمس، 2014، صفحة 29) وكما أشار في قوله: " لا بد أن نحفظ في أذهاننا بأن الساحر البدائي لا يعرف من السحر إلا جانبه العملي، وبالنسبة له فن وليس علما... ففكرة العلم مفقودة بالنسبة لعقله غير المتطور " (جيمس، 2014، الصفحات 29-30)

وأضاف كذلك: جميع السحر مزيف وعقيم وإذا ما أصبح حقيقيا ومثمرا فإنه يتحول إلى علم...منذ أقدم العصور انشغل الإنسان بالبحث عن القواعد العامة التي تسيطر وتطوع الظواهر الطبيعية لمصلحته الخاصة ومع طول البحث جاهدا في جمع ذخيرة من القواعد بعضها ذهب خالص، وبعضها شوائب وخبث، شكلت القواعد الذهبية للعلوم التطبيقية أو ما نسميها الفنون وشكل الزائف منها سحرا " (جيمس، 2014، صفحة 78)

فإذا ما اعتمدنا على ما أشار إليه باحثوا المجتمعات البدائية، على أن السحر علم زائف، فإنه يمكننا القول بأن السحر موروث ثقافي إنساني، وهي عبارة عن ممارسات قديمة بدأت مع بداية البشرية، تقوم على استدعاء وسيطرة الإنسان من العالم المادي على قوة خارقة للطبيعة متواجدة في العالم الروحي اللامادي، وتجسيدها والاستفادة منها في العالم المادي، فأساس فكرة السحر في المنظور الأنثروبولوجي

تعود لمعتقدات إيمانية غيبية روحانية، ترتبط بممارسات دينية في أغلب الثقافات، فبالعودة إلى تاريخ الحضارات القديمة، كالسومرية، البابلية، المصرية والرومانية، وتتبع تاريخ السحر في هذه المجتمعات، نجد أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الفلك واستخدم في الطب ولعلاج الأمراض المستعصية النفسية منها والاجتماعية، فالبحث في مثل هذه المواضيع يتطلب تقديم تفسيرات عقلانية يتقبلها المنطق، وتتطابق والعصر الذي نواكبه، بعيداً عن التضليل والتشكيك

وعليه أكد جمهور العلماء على أن السحر حقيقة وكونه علماً له أصوله وقواعده، كما أنه ممتد منذ القدم (علي، د س، صفحة 60) والقرآن الكريم أكد حقيقة السحر أين ورد في 61 موضع في إجمالي 47 سورة.

فبالعودة إلى التفاسير القرآنية نجد ارتباط كلمة "التعلم بالسحر" وذلك في قوله تعالى:

- وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرٍ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اسْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {البقرة: 102}

يعلمون الناس السحر: الشياطين تقوم بتعليم الناس أصول السحر.

يعلمان: الملكان هاروت وماروت يعلمان الناس السحر

يتعلمون: الناس تتعلم ما يفرق بين المرء وزوجه، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم.

وفي قول الله سبحانه وتعالى: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ" طه 71. وتكررت الآية في سورة

الشعراء الآية 49 لحكمة إلهية تفيد التوكيد والوضوح والبيان.

أجمعت التفاسير على أن كبيرهم الذي علمهم السحر هو معلمهم ورئيسهم وألقى فرعون هذا

على أن موسى ساحراً وهو معلمهم الذي يعلمهم فنون السحر .

وفي موضع آخر من كتاب الله عز وجل:

- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ سورة الشعراء 37
- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ سورة الأعراف 112.
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ سورة الأعراف 109.

ذكر في التفاسير حول لفظة ساحر/سحار عليم: ساحر قوي العلم بالسحر، ماهر في السحر،

متمكن منه، وعليم به، فائق في علم السحر تفسير الجلالين. ولفظة عليم: أي كل من أجاد السحر وتفوق

في معرفته التفسير الميسر. (مفسري القرآن)

هناك الفرق بين كلمة سحار وساحر لا بد من الإشارة إليها قيل: الساحر الذي يَعْلَمُ السحر ولا يُعْلَم، والسحار: الذي يُعْلَم، وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر التفسير البغوي (مفسري القرآن)

اذن: سحار: هو البليغ المتمرس في السحر وهو الأقوى من الساحر.

فعند التأمل لقوله تعالى في الخطاب القرآني وارتباط كلمة التعلم بالسحر، يتضح أن السحر معرفة وعلمًا يتم تلقيه لما له أصول وقواعد، وهو فتنة بين الناس، لذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من تعلمه لأنه من الموبقات السبع، وأجمع جمهور العلماء على تحريم تعليمه، لما فيه من أضرار وكفر وشرك بالله.

3. الطقوس السحرية المرتبطة بالمقابر:

يعتبر سحر المقابر من أخطر أنواع السحر الأسود المدفون وهو من الممارسات السحرية الأكثر فتكًا بالإنسان، إذ أنه يؤدي المسحور ويؤدي به للموت، حسب ما صرح به أغلبية أئمة المساجد- في مجتمع الدراسة- فقد ارتبطت هذه الممارسات بالسحر الأسود أين يستعين المشعوذ بقوة خفية كالجن الفاسق ومردة الشياطين (برتال، 2024)، ويتعمد الساحر تدنيس حرمة المقابر والموتى، واللجوء لممارسات لا عقلانية، بأوامر شيطانية تساعده على الخضوع لرغباته والتمكن منه والتحكم فيه لأفعال الشر والظلم. نظرًا لخطورة ذكر طقوس السحر المتعلقة بالمقابر والموتى، إلا أنه لا بد من الإشارة ولو بشكل وجيز عن البعض منها، بغض النظر عن حرصنا لعدم ذكر تفاصيل هذه الممارسات بأكمل وجهها وكيف تقام ومتى زمن حدوثها وصدقها، وذلك تفاديًا لنشر الأذى واستغلال السحرة لهذه الخطوات، ولكن هدفنا العلمي هو الإيضاح والتحليل والإجابة على إشكالية الدراسة المطروحة مع تقديم تفسيرات علمية دينية لموضوع بحثنا، وكذلك التنبيه لتفادي هذه الهفوات في مجتمع كثر فيه الجهل والانتقام، حيث أصبح السحر سبيلًا لتحقيق الرغبات الشخصية على حساب الآخرين. وعليه فمن بين هذه الطقوس الخطيرة يستعمل المشعوذ:

- كفن الميت: يستعمل لسحر التفرقة، التهميش الاجتماعي، الجنون، حيث يؤخذ منه قطعة صغيرة ويلفون به الطلاسم والتمايم، وكذا يستخدمونه في الطعام كسحر مأكول.
- ماء الغسل: يوضع في قوارير صغيرة وتباع بأثمان باهظة، يستعمل لسحر التفرقة، لسحر الجنون، سحر التعطيل، وله عدة استعمالات في الطقوس السحرية، وتأثيراته خطيرة جدًا على المسحور، يؤدي به للعزلة الاجتماعية والموت.
- الحناء والكافور: تخلط مع حناء العرسان، يتحول حالهم كحال الميت، يسبب في العقم، والكراهية، والتبذ، والمنذلة.

- صابون الغسل: له عدة استعمالات خطيرة في السحر، إلحاق الأذى النفسي والجسدي، الوباء والأمراض الخطيرة، يستخدم لعدة أغراض، كالسحر المرشوش ويبخر به لجلب الجن والشياطين. (معزوزة ا.، 2024)
 - تراب اللحد: يأخذ الساحر حفنة من التراب، يلقي كلمات سحرية شريكية، ويرمي على أبواب المنازل والمحلات التجارية لغرض التفكك الأسري والاجتماعي، الفقر والجوع، المضرة والمذلة، والخسارة.
 - القبور القديمة: في القبور المنسية يدفن السحر بشتى أنواعه، لأن لا أحد يزورها ويصعب الكشف عنها والوصول إليها، وإبطال السحر المدفون فيها. (معزوزة ا.، 2024)
 - أيادي الميت: يصنع منها الطعام "قتل البربوشة" لأغراض سحرية تؤدي إلى النفور الاجتماعي، الجنون، الرسوب والفقر والحزن والكراهية.
 - شعر وعظام الميت: العظام يكتب فيها السحر الأسود، الشعر والعظام تحرق وتباع ككحل العين، تؤدي للعي والعزلة والجنون والموت، وتستعمل كذلك كالبخور لتنشيط السحر القديم، وتبسيط الجان المارد. (بن سالم، 2024)
- لم يتوقف الأمر لهذا الحد وفقط، بل تعدى اللامعقول، حيث أثناء فترتنا البحثية، وجدنا العديد من عظام أكتاف أصحاب العيد، منها ما تفتت بعامل الطبيعة ومنها ما تبقت، والأخرى حديثة بها رموز وأشكال سحرية، وأسماء عائلات بأكملها، وتعاويز شيطانية، كما عثر على آثار لقبور جديدة تم نبشها، وأعيد فتحها من قبل السلطات المختصة "الدرك الوطني، مجموعة من المشايخ والأئمة، والمبتلون بالسحر" لأجل إبطال سحرها، بها خرز وطلاسم مربوطة إما في أرجل الموتى أو أيديهم، ومنها ما وضعت في فم المتوفى، كذلك ما تم إدخالها في فروج الموتى، كان الغرض منها دائما التفرقة، التشتيت، التعطيل عن العمل والدراسة، تبسيط الجان على المسحور وجعله مجنوناً فاقد العقله، والأخطر من ذلك تلك الطلاسم السحرية القوية التي تؤدي للمرض والهلكة والموت.
- وفي هذا الصدد سنذكر إحدى الحالات المستعصية لطقس استعمل فيه كفن الميت وبعض من أدوات تغسيل الموتى: "امرأة تقدم لخطبتها رجل من القرية فلجأت خليلته السابقة للمشعوذ (شيخ م) متواجد بنفس القرية – مكان الدراسة البحثية-، حيث عقدت اتفاق على أن تعمل معه أمور الشعوذة وتساعدته مقابل إبطال زواج خليلها، وإلحاق الموت بزوجته، فطلب منها قطعة كفن ميت، لم تجد المرأة سبيلاً آخر غير سبيل الشيطان والسحر، فتعلمت تغسيل الموتى، وفي الغالب هي من تقوم بتغسيل النساء في تلك القرية، وفي نفس الوقت تأخذ بعض أطراف الكفن، وماء غسل الميت والحناء التي توضع على سبع مواضع للمتوفى" من طقوسهم الجنائزية تطهير الميت ووضع الحناء في مناطق المفاصل (الكتف، المرفق، الرسغ، الفخذ، الركبة، الكعب، وبين الرأس والفقرة الأولى للعمود الفقري). تأخذها خفية لتمنحها

مباشرة لذلك المشعوذ لأجل ممارسة السحر الأسود وتلبية رغبات زواره بمبالغ مالية طائلة، حتى تطور بها الحال أين تعلمت فنون السحر وأصبحت تنبش القبور وتأخذ أعضاء الموتى لتمارس بهم السحر". قام المشعوذ بعمل حرز كبير يتمثل في "شعر المغدورة، وصورتها، وتماثيل مكتوبة بالدماء بكلمات غير مفهومة وتعاويذ شيطانية، مع رسم شكل مثلث كتب على أطرافه الثلاثة، السرطان، الفراق، الموت، وغلف الحرز بكفن الميت ودفن في قبر قديم منسي، والجزء الآخر من الكفن حضرت به طبق تقليدي "شخشوخة" وأخذته لتلك العروس، وبعد زواجهما الذي لم يدم طويلاً - مدة ثلاث أشهر- توفيت المرأة بمرض خبيث، (معزوزة ف، 2024) وبعدها بأشهر قليلة أُلقي القبض على المشعوذ متلبساً بممارسة السحر والشعوذة في المقبرة حكم عليه بالسجن إلى أن وافته المنية في أواخر شهر ديسمبر من سنة 2023 لأسباب مجهولة، أمرت السلطات الأمنية بتفتيش مقابر البلدية وتنظيفها من قبل أئمة المساجد ومشايخها، فوجدوا 52 حرزاً والعديد من صور لكلا الجنسين ضحايا للسحر المدفون. أغلب هذه التماثيل خُطت بالدماء، وبها تعاويذ غير مفهومة، مع بعض من الشعر والأظافر، وحتى قطع الملابس الخاصة بالضحايا، وصورهم.

أثناء دراستنا الميدانية وزيارتنا لمسكن إحدى المشعوذات (بن سالم، 2024)، تظاهروا منا أننا نريد الرقية لأنفسنا، لاحظنا سلوكها وأسلوبها في الرقية، حيث أنها تلقي كلمات مهمة، وحركات شيطانية، وتخفي كل شيء عن الزائرين، وتظاهر بالعفة واستخدامها للقرآن والسنة، لكن ما تلقينه علينا من أوامر يشكك في أمرها، بغض النظر عن تماثيلها التي تمنعنا من أخذها إذ تكتفي هي شخصياً بدفنها، بعد مدة زمنية معتبرة قررنا أن نكسب ثقتها بزيارتنا المتكررة، صرحت لنا أن المحبة والتفرقة وكسب الجاه والمال، طريقه الحرام والسحر ومعصية الله.

وبدأت بسر لنا أفعالها الشيطانية، كما استدعنا لمعينة مستودعها، الذي يحتوي على العديد من عظام الموتى، الهياكل العظمية للحيوانات وأنيابها وجلودها، الجيفة، مساحيق سوداء، دماء حيوان الضبع، ملابس وصور الضحايا، أكفان الموتى، تراب، رسومات وخريشات شيطانية، ووجدنا بحوزتها الزئبق بنوعيه الأحمر والفضي، أثناء حديثنا الطويل صرحت قائلة: "استخدم كل ما هو مدنس من دماء الضباع والحيوانات وأخلطها بدم الحيض لأجل ترويض الجن الفاسق والشياطين، أقوم بإطعامها الزئبق لتلبية رغباتي، أفرق بين اثنين، أجمع المتحايين، أجنّي المال الكثير، ويساعدني زوجي في هذه الطقوس، لأنه حفر القبور، يحفرها نهراً أمام مرأى الجميع، وينبشها ليلاً سرا ليأخذ الأكفان ويأدي الموتى، وأنا أصنع الكسكسي بيدي الميت، فمن يأكله يموت وهو حي، لا يشعر ولا يحس ولا يهتم لأي شيء.... أتساءلون عن غرابة أمري أفرق وأجمع؟... أجمع شمل المتحايين الزانين لأنهم عصوا الله، هذا الطقس يتطلب الكثير من المال والقليل من الشجاعة... كيف ذلك؟ بمني الرجل ودم حيض المرأة أخلطهم وألقي تعاويذ تعلمتها من هذا الكتاب..."

لم يتوقف الأمر هنالك فقط بل مستودعها يحتوي على كتب شيطانية للسحر الأسود وفنونه، وتستعين بها لأذية الآخرين مقابل مبالغ مالية كبيرة، كما يتظاهرون أمام الناس والأمة بمكانتهم الاجتماعية المرموقة، فهم ثقافة رفاة مؤمنون في نظر المجتمع الراقى، وزناة فاسقون سحرة بين أنفسهم وزائريهم، يلعبون الأدوار كما يحلو لهم، ظاهريهم خير وباطنيهم شر عظيم.

ومن جهة أخرى، فجلود الحيوانات ودم الضبع والمدنسات الشريكية لم تبقى محصورة فقط في بقعة جغرافية معينة، فالجزائر والمجتمع العربي برمته ينتهج هذه الممارسات والطقوس الشيطانية الرهيبة، ويستعينون ببقايا الحيوانات الروحانية " عظامها، جلودها دمائها، ريشها، كالسيوم، الغراب، الخفافيش، الضباع، الكلاب..."

وفي هذا السياق يروي لنا أحد الرقاة (محمد، 2024) أنه وجد سحرا في قم قطعة سوداء، قام المشعوذ بخياطته بإحكام، امتنعت القطعة عن الأكل والشرب وبدأ جسمها ينحف، فكلما اشتد جوعها تنقص وتنحف، وفي الحين يهلك السيد المسحور، فقام الراقى بفك الخيط عن قمها، وأخرج الحرز الذي هو عبارة عن صورة الرجل مكتوب عليها: المرض، الفقر، الهزل، الوفاة، ونجمة سداسية وأسماء للجن، مع بعض من أظافر المسحور ومادة شبيهة بالرماد، ربما رفات الميت، كل هذه العناصر لفت بالكفن، وخبأت في قم الحيوان، وتم إغلاقه بإحكام، وبعد الإبطال بالآيات القرآنية تعافى الرجل عن مرضه، وذهب عنه السحر، ونلاحظ هنا استعمال الساحر طلاسسم وتعاويد تقوم على مبدأ قانون الاتصال أي ما يعرف بالسحر الاتصالي، وكذلك فكرة استخدام الحيوان كشبيه للإنسان، والملاحظ أيضا هنا القيام بتطبيق مبدأ قانون التشابه في السحر التشاكلي، وهي فكرة مستوحاة من سحر الفودو، وهذا الأخير أشد خطورة على حياة الإنسان.

ففي المجتمع الأوراسي – بمقابر مجتمع البحث - عثر على خمس دمي مدفونة في قبور مختلفة، دمييتين من القش، دمية من البلاستيك، دمية من عظام الحيوانات، والأخرى مصنوعة من الخشب غرزت بمسامير وبدأخلها بعض الطلاسسم السحرية، كما أنها وجدت بجانبها رزم من الشموع كتبت عليها أسماء لأشخاص من كلا الجنسين. وفي الغالب تستعمل الشموع لسحر المحبة وتقوية الرابطة الزوجية (بن منصور، 2024)، لكن ما لفت انتباهنا، تلك الشموع الجميلة الشكل التي يحملها العرسان في ليلة الحناء، الخاصة بالأفراح وهي معروفة في الأعراس الجزائرية، فقد عثر العديد منها، كتب عليها اسم الزوجين، ورشقت بمسامير حديدية، توحى بالمضرة والألام، مما يدفعنا بالجزم أنها استخدمت للتفرقة وإلحاق الضرر لملكيها، لأنها وبلا شك سرقت خلصة، لأغراض سحرية تضر الزوجين، ففي العادات الأوراسية بالأعراس تبقى الشموع مشتعلة حتى تنوب كلها ولا يبقى لها أثر، والغاية من ذلك تجنب سرقتها وتطبيق ممارسات سحرية عليها.

ومن جهة أخرى، استدعاء السحرة لخدام السحر وقوى من عالم الجن، بطقوس شيطانية، وأفعال لا ترضي الله، وتطويعها لتقوية مفعول السحر، كترويض الجان حسب معتقداتهم بإطعامهم للزئبق واستعمال هذا الأخير للشعوذة والسحر الأسود، مما زادهم قوة وطغيانا، وهذا الدافع الذي أدى لولادة ظاهرة جديدة في المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الاوراسي خاصة وهي المتاجرة بالزئبق للسحرة والمشعوذين بأثمان باهظة، مما شجع على زيادة طمع السحرة، وظهور مشعوذين جدد متمرسين متعلمين من كتب أصبحت متاحة للجميع، عبر مواقع الكترونية بشبكة الأنترنت، نظرا لسهولة الوصول إليها ومطالعتها وتنزيلها، لأنها متاحة للجميع ومجانية لكل من هب ودب أن يطالعها ويطبّقها ويعمل بما فيها، ولم يقف الحد عند هذه الأفعال فقد أصبح أغلب الشباب يقضون وقتهم في البحث عن عالم السحر والزئبق والكنوز المدفونة، ليجدوا أنفسهم بين الجرائم والكفر والمخرج من الملة والقتل، وذلك عن طريق استغلال الأطفال الزهوريين² وسرقتهم وإذا اضطر الأمر قتلهم، لأجل الحصول على هذه المادة الروحانية التي يطعمونها للجن لاستخراج الكنوز، والتي يزعم المشعوذين أنها مدفونة في المقابر القديمة، أو في الأماكن المهجورة، فكم من شاب راح ضحية هذه الخرافات غدرا بأيادي المشعوذين والطماعين، وإلحاق الضرر والجنون بأفراد أسرهم، ودخولهم لعالم مدنس سلط عليهم الجن ودمر حياتهم وحياة أقاربهم.

وعليه نقدم بعض من الشهادات المادية التي تم استخراجها من مقابر رأس العيون لسنة 2024 من شهر مارس، في حملة تطوعية قامت به ثلة من الجمعيات الخيرية وبرفقة جمعية جامع النور وجمعية أئمة ومشايخ ورقاة المنطقة، كانت التماثيل أغلبها وضعت بالقبور القديمة، التي لا يزورها أحد، ومنها ما هي في حالة جيدة توحى أنها جديدة قدرت ب 52 تميمة، واستخرجت الكثير من التماثيل قديمة جدا انحلت في التربة، اكتفى الرقاة بقراءة القرآن عليها لفك مفعول السحر، من بين الـ 52 تميمة، كان الغرض منها التفرقة بين الأزواج، المحبة، الجنون، التعطيل، المرض والخمول، 18 تميمة وضعت بداخلها بقايا العظام، مواد سوداء، طلاسـم شركية، رسومات وكتابات مبهمة بأسامي وصور للذكور والإناث، توحى بأنها صنعت من طرف النساء، كسحر للتفرقة، وكذلك بعض من الأظافر خصلات الشعر، مما يفسر استخدام السحر الاتصالي في عملية الطقوس السحرية للتأثير على المسحور ببعض من أشياءه. 10 تماثيل وضعت لغاية التعطيل، إما عن الزواج، العقم، العمل، والدراسة، وبها طلاسـم مكتوبة بمادة حمراء شبيهة بالدماء، أشار الأئمة أنه ربما كتبت بالزعفران الأحمر أو خطت بدماء لحيوانات روحانية لتقوية مفعول السحر، 9 تماثيل لغرض المرض والتهلكة، لفت بكفن وبها أوراق كتب عليها المرض السرطان

² مصطلح برز من الأساطير الشعبية المغاربية، ويقصد به الطفل الذي لم يتجاوز العشر سنوات والذي يتمتع بصفات خارقة تتمثل في تواصله بعالم الجن والأرواح، فمعنى الاسم وأصله مشتق من الزهر " النرد " أي أنه محظوظ، وهناك علماء الفلك من أشار على أنه حين ولادة الإنسان الزهوري يكون كوكب الزهرة هو الطالع لذلك سمي بالزهري، وهناك من اسند هذا المصطلح إلى كتاب الزواهر اليهودي الذي يتناول فلسفة الكبالا.

الهلاك، وخريشات غير مفهومة، بأسامي المسحورين وبعض خدم الشياطين، 7 تمانم لعرض الجنون، هي الأخرى لفت بالكفن، لاحظنا بها بعض من أشياء المسحورين كالشعر والصور والمسامير، 5 تمانم للمحبة ولم الشمل، والملاحظ في هذه التمانم استعمل فيها القرآن الكريم مكتوب بالمقلوب، وبعض آيات المحبة، كتبت بمادة الصمغ، مصحوبة بشموع كتب عليها أسماء الجنسين، فتدريس قدسية القرآن بقلبه كفر عظيم وشرك بالله، كما وجدت أثناء عملية البحث عن التمانم وتنظيف المقابر خمس دمي الفودو، ثلاثة منها شبيهة بالنساء والباقي شبيهة بالرجال، حيث استعمل الساحر قانون التشابه عن طريق محاكاة الأشياء وتقليدها، وهذا ما يوضح تطبيق نوع السحر التشاكلي أو سحر المحاكاة على ضحايا هذا النوع الخطير.



الصورة رقم 01: حرز وحجب في حالة جيدة وجدت بإحدى القبور لفت بكفن أبيض ووضعت في أكياس بلاستيكية، بها مادة سوداء، بقايا صفائح حديدية، جلد حيوان محترق، أظافر وشعر المسحور، تصوير الباحثون، يوم 10 مارس 2024.



الصورة رقم 02: تميمة كتبت على قماش به طلاسم مهمة ، استعمل للتفريق بين الزوجين، وجد داخل القبر ، تصوير الباحثون، يوم 10 مارس 2024.



الصورة رقم 03: صورة من منزل المشعوذة (م) أين تقوم بطقوس جلب الحبيب تستخدم الزئبق الفضي وبطاقات الروندا لقراءة الحظ والتكهن، وبعض من الزعفران ودماء حيوانات مجهولة، الأصداف والأحجار البحرية، الشموع، تصوير الباحثون، يوم 18 فيفري 2024.



الصورة رقم 04: دمي الفودو التي استخرجت من قبور مقبرة عين كارو بمنطقة رأس العيون، دمية خشبية لفت بالكفن وكتب على صدرها الموت كما انها رشقت بإبر، مصحوبة بقطعة صابون الميت وتميمة خُطت بقلم أبيض واسود بها بقع من الدماء، ودمية بيضاء بحالة جيدة رشقت بإبر كتب على يدها أميرة بنت مسعودة، وثلاث أوراق لعبة الروندا التي تستخدم لأغراض سحرية لها دلالاتها الرمزية، كما صحبت بسبع أعود الثقاب ومشبكين للشعر يعودان للفتاة المسحورة، تصوير الباحثون، يوم 10 مارس 2024.



الصورة رقم 05: شمعة رشقت بمسامير حديدية وكتب عليها اسم سعاد بنت عيشة وحسام ولد زرفة، وجدت بقبر قديم، مع صورة لفتاة كتب عليها طلاس للطلاق والتفرقة، تصوير الباحثون، يوم 10 مارس 2024.

خاتمة:

السحر المدفون من أشد وأخطر الممارسات السحرية الفتاكة بصحة الإنسان ونفسيته، فالمجتمع راح ضحية باعة الأوهام والأسقام من السحرة والمشعوذين والكفرة بالله، أين اتبع طريق الظلم والفساد والانتقام، متناسين رحمة الله وفضله على عباده، فسبيل السحر ممره وسوسات الشياطين وخطوات الجن المارد، لا بد من الإنسان العاقل اجتنابه، ومجتمع دراستنا ما هو إلا نموذج مصغر لما يحدث في جل المجتمعات الإسلامية، وعليه فكل الممارسات المرتبطة بالمقابر والموتى، لا بد من الاطلاع عليها ومعرفة خباياها، لأجل أخذ الحيطة والحذر من الغير ذوي النفوس الخبيثة، والدعوى لعدم تدنيس قدسية المقابر والمساحات بحرمة الموتى، واتخاذ كامل الإجراءات الدينية والقانونية لردع مثل هذه الأعمال الشيطانية وتوقيف كل السحرة الطغاة، وكما للعدالة الالهية حق كل مظلوم في قوله تعالى: " وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ " فلن يضر الله عبده، والله لا يفلح كيد الساحرين، كذلك للدولة الجزائرية إجراءاتها القانونية لتوقيف هؤلاء السحرة بنص قانوني ينصه قانون العقوبات.

نتائج الدراسة:

وفق ما تم جمعه وتخليله من المعطيات البيانية في دراستنا البحثية هذه حول الممارسات السحرية فإنه يتبين لنا أن:

- السحر انتشر في المجتمع الجزائري كالنار في الهشيم، خاصة في هذه السنوات الأخيرة، أين كل من لم يقض حاجته يلجأ للسحرة والمشعوذين، لتدمير حياة الآخرين وبناء أنفسهم، كذلك تطورت الممارسات الطقوسية مع تطور التكنولوجيا الحديثة، حيث أصبحت هنالك مواقع وكتب مجانية متاحة للجميع، وشبكة الانترنت سهلت الوصول إليها، كما أنها انتشرت العديد من الفيديوهات التعليمية عبر منصة اليوتيوب لما يطلق عليهم اسم علماء الروحانيات، يضيفون من جرعات السم ويعلمون السحرة أمور أخرى غيبية شركية.
- كل من يستعين بالسحر قليل الوازع الديني، جاهل للأمور الدينية.
- أكثر الممارسات للأعمال السحرية في مجتمع الدراسة هن النساء، والدافع الرئيسي هو الغيرة وسوء التصرف والجهل، وحبهن للتملك والجاه والماديات.
- أكثر أنواع السحر المنتشرة في مجتمع الدراسة هو سحر التفريق، ويشمل تفرقة الزوجين والمتحايين، تفرقة الإخوة من أجل الورث، تفرقة الأم عن الأبناء.
- السحر المدفون دنس حرمة وقدااسة المقابر، ومس قدسية الميت.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

إبراهيم بن عرفة، و بشيرة عالية. (2019). المسكوت عنه (التابو) في التواصل الاجتماعي بين المقدس والمحرم في أنثروبولوجيا الحياة اليومية. /أنثروبولوجيا ، 68-83.

الطبري ابن جرير. (1992). جامع البيان في تأويل القرآن (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

بن الحسين بن علي المسعودي أبي الحسن علي. (1996). أخبار الزمان. لبنان، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

بن العربي أبو بكر. (1972). أحكام القرآن (المجلد 1). القاهرة: دار الفكر.

بن صالح آل مبارك أبي عبيدة ماهر. (1995). فتح المغيب في السحر والحسد ومس إيليس (الإصدار 1). الرياض: دار علوم السنة للنشر.

بن عبد السلام بالي وحيد. (1992). الصارم البتار في التصدي للسحرة الاشرار (الإصدار 3). القاهرة- جدة الشرفية: القاهرة حلمية الزيتون، مكتبة الصحابة.

تفاسير قرآنية مفسري القرآن. (بلا تاريخ). القرآن الكريم. تم الاسترداد من موقع القرآن الكريم:

<https://surahquran.com/aya-tafsir-112-7.html>

- جمال الدين بن مكرم ابن منظور. *لسان العرب* (المجلد 4). بيروت: دار صادر.
- جورج فرايزر جيمس. (2014). *الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين* (الإصدار 1). (نايف الخوص، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع.
- حجازي السقا أحمد. (1989). *علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية للنشر.
- زهير حموي. (1994). *الانسان بين السحر والعين والجان* (الإصدار 3). الكويت: دار حواء.
- سعاد طعية. (جوان، 2009). *الشعوذة في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية لعينة من مدينة الاغواط. مذكرة ماجستير*. جامعة سعد دحلب، البليدة - الجزائر: قسم علم الاجتماع.
- سفر أخنوخ. (بلا تاريخ). *wordpress*. تاريخ الاسترداد 13 avril, 2024، من كتاب سفر أخنوخ: <https://copticarabicbible.wordpress.com/wp-content/uploads/2014/10/d8b3d981d8b1-d8a7d8aed986d988d8ae-d983d8a7d985d984d8a71.pdf>
- عبد العال الطهطاوي علي. (د س). *أسرار السحر والاستخارة وضرب الرمل وقراءة الفنجان والكف*. الروضة نشر وتوزيع.
- علي الشيخ بن منصور. (10 مارس، 2024). *مقابلة مباشرة حول التمايم السحرية المستخرجة من مقابر منطقة الدراسة وطرق تفكيك السحر منها*.
- فخر الدين الرازي. (1985). *قصة السحر والسحرة في القراءان الكريم*. القاهرة: مكتبة القراءان.
- ماهر بن صالح آل مبارك أبي عبيدة. (1995). *فتح المغيث في السحر والحسد ومس إيليس* (الإصدار 1). الرياض: دار علوم السنة للنشر.
- Eliphaz, L. *Histoire de la magie*. Paris: librairie médicale de GERMER BAILLIERE.